مجموعة من مرتِّلي كنائس الإسكندريَّة
مع بعض الآباء الكهنة
المحاضرة بدير القدِّيس أنبا مقار
الثلاثاء ١١ يونيو سنة ٢٠١٩م

التَّقليد اللِّيتورجي في التَّسبيح والصَّلاة

تمهيد لتوضيح الفرق بين السِّيناكس الصَّغير والسِّيناكس الكبير

تكلَّمتُ مع حضراتكم في المرَّة السَّابقة عن موضوع بعنوان: ''المسيح وحده هو صاحب البيت''. وفي هذه المـرَّة أودُّ بنعمة ربِّنا أن أكلِّمكم عن كيفيَّة تقديم التَّسبيح والتَّمجيد والإكرام اللاَّئق بالمسيح صاحب البيت في بيته، وذلك بحسب الأصول الكنسيَّة التي تسلَّمَتها الكنيسة منذ نشأتها، ومن جيل إلى جيل، طبقاً للتَّقليد اللِّيتورجي الشَّرقي عموماً، والقبطي خصوصاً. ذلك لأنَّ سُكنى الله في بيته، أكسبته هيبة وجلالاً، وأضفت عليه قداسة ورهبة. فهو المكان الذي ندخل إليه لنتقابل فيه مع الله، ونتراءى أمام وجهه، مقدِّمين له العبادة اللاَّئقة به.

ولكن بادئ ذي بدء، تعلمون أنَّ اجتماع الشَّعب للصَّلاة في الكنيسة، كان يُدعى منذ أيام البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) بالمصطلح اليوناني σύναξις (سيناكسيس) والذي يعني ''اجتماع''، أي اجتماع الشَّعب للعبادة في الكنيسة.

فعندما يتكلَّم القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) عن سرِّ الإفخارستيَّا، فهو لا يستخدم الكلمات المألوفة عندنا مثل ''الإفخارستيَّا''، أو ''الاجتماع الإفخارستي''، ولا حتَّى تعبير ''كسر الخُبز''، ولا ''القُدَّاس''، بل كان دائماً يستعمل كلمة ''السِّيناكسيس''. وهو ما كان يمارسه أيضاً أنبا باخوميوس (٢٩٢-٣٤٨م) وكلُّ تلاميذه، لأنَّ كلَّ الكتابات الصَّادرة عن الأديرة الباخوميَّة، قد استعملت هذه الكلمة.

وهذا المصطلح صار معروفاً في الشَّرق المسيحي كما في الغرب المسيحي أيضاً، ولكن باستثناء بسيط. ففي الغرب المسيحي استُخدم هذا المصطلح ليُعبِّر عن أيِّ اجتماع في الكنيسة ليس بغرض إقامة الإفخارستيَّا Aliturgical synaxis بل لإقامة أيَّة صلوات أُخرى في الكنيسة مثل تلاوة مزامير أو قراءة فصول كتابيَّة أو أيَّة صلوات أُخرى، ولكن بعيداً عن إقامة خدمة القُدَّاس الإلهي.

ومن هذا المصطلح اليوناني نشأ عند الأقباط المصطلح القبطي ⲥⲩⲛⲁⲝ (سيناكس)، أي ''اجتماع'' كما ذكرتُ منذ قليل. وهو المصطلح القبطي الذي نجده حتَّى اليَوم في قطمارُس الكنيسة القبطيَّة في بداية قراءات كلِّ قُدَّاس. وهذا السيناكس في كنيسة الإسكندريَّة – كما في عموم الشَّرق المسيحي – ينقسم إلى نوعَين؛ النَّوع الأوَّل هو المعروف باسم السيناكس الصَّغير ⲥⲩⲛⲁⲝ̀ⲛ ⲡⲓϣⲏⲙ والنوع الثَّاني يُسمى السيناكس الكبير ⲥⲩⲛⲁⲝ̀ⲛ ϯⲕⲟⲩϫⲓ.

فالسِّيناكس الصَّغير صار يعني أي اجتماع للشَّعب في الكنيسة للصَّلاة، ولكن باستثناء إقامة القُدَّاس الإلهي. أي الاجتماع لتسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر، أو لترتيل مزامير السَّواعي، أو لصلوات رفع البَخور في عشيَّة وباكر ... إلخ. وأمَّا السِّيناكس الكبير، فالمقصود به هو اجتماع الشَّعب لصلاة القُدَّاس الإلهي في الكنيسة. وهنا ملاحظة مهمَّة تغيب كثيراً عن ذهننا، وهي أنَّ يومي الأربعاء والجُمعة من كلِّ أسبوع، كان لهما وضعٌ خاص في الكنيسة منذ القرون الأولى، لأنهما كانا يومي السِّيناكس الصَّغير في كنيسة الإسكندريَّة وروما، أو السِّيناكس الكبير في كنائس أورشليم وسوريا وشمال إفريقيا[1].

١ – البطريرك إغناطيوس أفرآم الثَّاني، بطريرك السِّريان الأنطاكي، المباحث الجليَّة في الليترجيَّات الشَّرقيَّة والغربيَّة، الجزء الأوَّل، دير الشَّرفة ١٩٢٤م، ص ١٤٥-١٤٦

أصول التَّرتيل اللِّيتورجي

طبقاً للتَّقليد اللِّيتورجي المتوارث في الكنيسة، هناك فرق بين نظام التَّرتيل والصَّلاة المقدَّمة لله في السيناكس الصَّغير، وذاك المختص بالسِّيناكس الكبير.

(١) طرائق التَّسبيح والتَّرتيل في السِّيناكس الصَّغير

هناك ثلاث طرائق للتَّسبيح في أيِّ سيناكس صغير:

الطَّريقة الأولى: وهي أقدم طرائق التَّسبيح والصَّلاة على الإطلاق، وتكون باشتراك الشَّعب كلِّه. وفي ذلك يقول سفر أعمال الرُّسُل «رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله» (أعمال ٤:٢٤).

ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م):

[في القديم كان الجميع يُرتِّلون معاً ونحن كذلك] .

ويقول أيضاً موضِّحاً استمرار هذه الطَّريقة في التَّسبيح حتَّى إلى زمانه:

[النِّساء والرِّجال والشُّيوخ والشَّباب المختلفون سنًّا وجنساً، لا يختلفون في التَّرتيل، لأنهم جميعاً يمثِّلون ترنيمة شذيَّة (عذبة) واحدة].

الطَّريقة الثَّانية: وقد ظهرت في الكنيسة في أواخر القرن الأوَّل وأوائل الثَّاني الميلادي، وهي طريقة الأنتيفونا Anthem . والكلمة ''أنتيفونا'' بحسب منطوقها في اليونانيَّة τὸ ἀντίφωνον (أنتيفونون) تتكوَّن من مقطعَين: الأوَّل ἀντί (أنتي) أي ''ضد'' أو ''مقابل''. والثَّاني φώνον (فونون) أي ''صوت''. فالكلمة تعني إذاً ''صوت مقابل صوت''، وهي تفيد في المصطلح اللِّيتورجي ''ترتيل متبادَل بين خورسين''.

وقد ظهر هذا التَّرتيل الأنتيفوني بين خورسَين في كنيسة أنطاكية أوَّلاً، حين أدخله القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م) المتوشِّح بالله. فأصبح التَّرتيل الطَّقسي لدى السِّريان الغربيِّين والشَّرقيين يتم بين جوقتَين. ومن ثمَّ امتد هذا الأسلوب إلى سائر الكنائس الشَّرقيَّة. ثمَّ عرفه الغرب بعد ذلك بواسطة القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م) أُسقُف ميلان، في القرن الرَّابع الميلادي.

فعادة تلاوة المزامير ملحَّنة بين جوقتَين، هي تقليد شَّرقي قديم، يشهد له بليني الصَّغير (٦٢-١١٣م). ويروي كلٌّ من المؤرِّخَين سقراط (٣٨٠-٤٥٠م) وسوزومين (أوائل القرن الخامس الميلادي)، وغيرهما، بالاستناد إلى التَّقليد، أنَّ التَّرنُّم بالمناوبة، كان مصدره كنيسة أنطاكية، ومنها انتشر إلى سائر الكنائس[٢].

ومادة الأنتيفونا إمَّا آيات كتابيَّة، أو مزمور ذات مرد، أو قرار Refrain أو أرباع منظومة على الحروف الهجائيَّة القبطيَّة، وهي ذو مرد أيضاً، مثل الإبصاليَّات القبطيَّة.

وتُستخدم الأنتيفونا في الكنيسة الشَّرقيَّة في السَّهَر اللَّيلي، وتسبحة الغروب على وجه الخصوص. وتستخدمها أيضاً الكنيسة اليونانيَّة في ثلاث تراتيل Anthems تُقال في مستهل قُدَّاس الإفخارستيَّا، ولكن ليس في أثنائه. ويتغيَّر نغم الأنتيفونا مع تغيُّر المناسبات والأعياد الكنسيَّة[٣].

2- Yassa Abd Al-Masih, *The Canon of The Resurrectione*, dans *Bulletin de la société d'archéologie copte* (*BSAC*), t. 14, Le Caire, 1950, p. 26, 27.

3- Cross, F.L. & Livingstone, E.A. *The Oxford Dictionary of The Christian Church* (*ODCC*), (2nd edition), 1988, p. 66.

وهذه الطَّريقة تُعرف في الكنيسة القبطيَّة باسم ''المرابعة'' أي ترتيل ''رُبع''[٤] من الأرباع القبطيَّة مقابل ''رُبع'' آخر، بين جوقتين. وتكون ''المرابعة'' في الكنيسة القبطيَّة بين الخورسين البحري والقبلي، وتكون البداية دائماً في التَّسبيح للخوروس البحري، ويجاوب عليه الخوروس القبلي. أمَّا في الكنيسة اليونانيَّة، فالخوروس القبلي هو الذي يبدأ التَّسبيح، ويجيب عليه الخوروس البحري.

الطَّريقة الثَّالثة: وهى أحد أوجه التَّرتيل الأنتيفوني، وظهرت في القرن الرَّابع الميلادي. وهي أداء منفرد لشخص واحد Soloist يجاوبه إمَّا خورُس يرد عليه، أو الشَّعب كلُّه.

وغالباً يكون المرد الذي تردِّده الجماعة مردًّا ذا كلمات ثابتة لا تتغيَّر. والمثال الواضح لذلك في الطَّقس القبطي هو الهوس الثَّاني، والذي مردُّه هو: ''لأنَّ إلى الأبد رحمته''. وأيضاً الهوس الثَّالث وله مردَّان: المرد الأوَّل، ويحتل الأرباع السِّتة الأولى من الهوس: ''متزايد بَرَكَة ومتزايد علوًّا إلى الأبد''، بينما يحتل المرد الثَّاني بقية الهوس وهو: ''سبِّحوه وزيدوه علوًّا إلى الآباد''. وكذلك بعض الإبصاليَّات، مثل إبصاليَّة السَّبت بمردِّها: ''ياربي يسوع المسيح مخلِّصي الصَّالح''.

ومع ذلك يمكن تسبيح أي عناصر من التَّسبحة بأيَّة طريقة من الطَّرائق السَّابق ذكرها. ولكن هذه الطَّريقة الثَّالثة على وجه الخصوص لا يصلُح غيرها من الطَّرائق في ترديد الهوس الكبير، والذي مردُّه هو كلمة ''هلليلويا''، والذي يسبق الهوس الأوَّل دائماً.

ولازالت هذه الطرائق الثَّلاث في التَّسبيح – السَّابق ذكرها – مستعملة في الكنيسة حتَّى الآن.

(٢) طرائق التَّسبيح والتَّرتيل في السِّيناكس الكبير

الكلام هنا عن طرائق التَّسبيح والصَّلاة في السِّيناكس الكبير أي في صلوات القُدَّاس الإلهي خصوصاً، وهو ما أراه اليَوم مع الأسف الشَّديد قد خرج عن التَّقليد اللِّيتورجي الأصيل الذي عايشناه سنين عديدة.

الطَّريقة الأولى: وتكون باشتراك الشَّعب كلِّه في التَّسبيح والصَّلاة، وهي الطَّريقة التي سبق ذكرها، ولا يمكن أن يكون خورس الشَّمامسة في الكنيسة بديلاً عن هذه المشاركة الشعبية، وهو ما نراه اليَوم في بعض الكنائس القبطيَّة مع الأسف.

يقول القدِّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م) في دفاعه الأوَّل (٦٧:٦) عن نظام الصَّلاة في القُدَّاس الإلهي:
[... بعد ذلك نقف جميعاً، ونرفع الصَّلوات. ومتى ختمنا صلاتنا ... يُقدَّم خبز وخمر وماء ...].

إنَّ سبب ضياع المشاركة الشَّعبية الكاملة في السِّيناكس الكبير منذ بدايته حتَّى نهايته كان بسبب أن الشَّعب قد فقد دوره الحقيقي كعنصر أساسي في تقديم القرابين من أجل إقامة الذَّبيحة المقدَّسة، وذلك بسبب طغيان طغمة الإكليروس التي رأت في نفسها بديلاً عن الشَّعب في ذلك. إنَّ تقديم القرابين على المذبح لا يكون من أجل الشَّعب فحسب، بل بواسطته وبمشاركته أيضاً. وهذه العبارة الأخيرة التي قلتها الآن اضطررت إلى صياغتها بهذه الطَّريقة غير الدقيقة، لأنَّ تصحيح هذه العبارة يلزم أن يكون كما يلي: 'إنَّ القرابين المقدَّسة تُقدم على المذبح ليس فقط من أجل الكنيسة بل وبواسطة الكنيسة ومشاركتها أيضاً'. والكنيسة هنا هي الإكليروس والشَّعب على حدٍّ سواء، وليس الإكليروس فحسب. فالكاهن لا يُقيم الذَّبيحة الإلهيَّة نيابة عن العلمانيِّين، وكأنَّ العلمانيِّين غير مشاركين في هذه الخدمة الإلهيَّة مشاركة حقيقيَّة.

إنَّ معظم أو ربما كلَّ ما يُقال من صلوات خارج الهيكل أثناء السِّيناكس الكبير كان من نصيب الشَّعب كلِّه، وليس الكاهن فقط. حتَّى بدء الصَّلاة التي نعرفها اليَوم: ''إليسون إيماس أوثيؤس ... إلخ'' أي ''ارحمنا يا الله الآب ضابط الكُل، أيها الثَّالوث المقدَّس ارحمنا ... إلخ'' كان كلُّ الشَّعب يردِّدها مع الكاهن أثناء فتحه لباب الهيكل لبدء الصَّلوات. هكذا تخبرنا

٤- ''الرُّبع'' في القبطيَّة أربعة إستيخونات.

مخطوطاتنا حتَّى إلى وقت قريب للغاية.

منذ البداية كانت المردَّات التي يردِّدها الشَّعب، ويؤمِّن بها على الطَّلِبات – أو الأواشي كما نسمِّيها في الكنيسة القبطيَّة – ذات أهميَّة قاطعة. فالقدِّيس يوستينوس الشَّهيد (١٠٠-١٦٥م) يدعو هذه الأواشي، باسم: ''صلوات عامة – Κοιναὶ εὐχαι''. ويرى العالم اللِّيتورجي الألماني الشَّهير أنطون بومشتارك A. Baumestark أنَّ هذه التَّسمية ربما تعني، أنَّ الشَّعب كلَّه كان يردِّد معاً صيغة الطَّلِبة أو الأوشيَّة، أو أنَّ الشَّعب كان يردِّدها جملة جملة بعد الرَّئيس[٥]. وعلى كلِّ حال، فإننا نعرف أنَّ الطَّلِبات أو الأواشي قد تثبَّتت كمشاركة حتميَّة بين مترئس الصَّلاة وبين الشَّعب الذي يجيب ويؤمِّن عليها بمرد سحيق في القِدَم هو ''آمين''، أو ''كيرياليسون – ياربُّ ارحم''.

ويقرِّر الأُسقُف البولندي بلودو Bludau (١٨٦٢-١٩٣٠م) أنَّ ''كيرياليسون'' كان مرداً شائعاً في كلِّ آسيا الصُّغرى وأورشليم وأنطاكية[٦]. وتشير المراسيم الرَّسوليَّة (٨:٣٥) المدوَّنة منذ القرن الرَّابع الميلادي، إلى هذا المرد. أمَّا في الكنيسة الآشوريَّة (النَّسطوريَّة)، فإنَّ الشَّعب يجيب على نداءات الشمَّاس بقوله: ''يا ربَّنا ارحمنا''، وهي بالسِّريانيِّة (مارن اثر حمعلين)[٧]. أمَّا في الكنيسة المارونيَّة، فإنَّ مرد الشَّعب فيها هو: ''استجب لنا ياربُّ''.

وجدير بالذِّكر أيضاً أنَّ قوَّة الأوشيَّة أو الطَّلِبة واقتدارها في الدُّخول إلى عرش النِّعمة لتنال استجابتها الفعليَّة تكمن في مشاركة الكنيسة كلِّها فيها. فالكنيسة كلُّها تطلب وتتوسَّل. وهنا لا يكون الكاهن نائباً عن الشَّعب في الطَّلِبة، أو بديلاً له. فربما يُصلِّي بلسان الشَّعب في بعض الصَّلوات، ولكن على مسمع من كلِّ الشَّعب، الذي يؤمِّن على صلاة الكاهن بمشاركة حيَّة، لتكون الصَّلاة في النِّهاية، هي صلاة كلِّ الكنيسة. هنا تبلغ الصَّلوات منتهى قوَّتها، وهنا تُستعلن الكنيسة في كامل حقيقتها.

الطَّريقة الثَّانية: هي الحوار اللِّيتورجي بين الكاهن والشَّعب. كما في مستهل الأنافورا عند قول الكاهن: ''الرَّب مع جميعكم ... إلخ''. فإنَّ الأصل في النَّص اللِّيتورجي السَّابق ذكره، هو **الحوار وليس الرُّشومات**. أي الحوار المباشر بين الكاهن والشَّعب. أمَّا البابا غُبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)[٨] فهو أوَّل من أشار إلى الرُّشومات المصاحبة لهذا الحوار، نقلاً عن إحدى الممارسات الطَّقسيَّة التي عُرفت في جهة ما من جهات مصر الواسعة. فأخذ هذا الحوار اللِّيتورجي أهميَّة تالية لأهمية الرُّشومات المصاحبة له. لقد انصرفت التَّعليمات الطَّقسيَّة، إلى شرح طريقة الرُّشومات، أكثر بكثير من اهتمامها بالحوار اللِّيتورجي نفسه، والذي كان يدور مواجهة بين الكاهن والشَّعب، حتى نهايته.

كما يلزم الإشارة أيضاً إلى أنه عند قول الكاهن Εἰρήνη πᾶσιν (إيريني باسي)، أي ''السَّلام للكُل'' أو ''السَّلام للجميع''، والتي تُترجم إلى العربيَّة دائماً: ''السَّلام لجميعكم''. يكون المرد الحتمي للشَّعب والذي يعقب هذا السَّلام، هو دائماً: ''ولروحك''، أي ''ولروحك هذا السَّلام''. وهنا تبرُز مكانة مشاركة الشَّعب في الصَّلوات اللِّيتورجيَّة وأهميَّتها. فالشَّعب كلُّه مجتمعاً معاً حول المذبح المقدَّس، يمكنه أن يخاطب الكاهن معطياً إيَّاه السَّلام، وطالباً لأجله معيَّة الرَّب. وهذه العلاقة البديعة والوثيقة بين الكاهن والشَّعب، هي التي تؤهِّل الكنيسة كلَّها، للارتقاء إلى السَّماء.

هذا الحوار اللِّيتورجي بين الكاهن والشَّعب، يُعرف في علم اللِّيتورجيَّا باسم Stereotyped form . حيث يلتقط الكاهن أو الشَّعب الكلمات الأخيرة من الحوار اللِّيتورجي الذي يدور بينهما، ليبدأ بها صلاته أو مردَّه، فتأتي الصَّلوات في شكل أخذ وعطاء، بين رئيس الصَّلاة وجموع المصلِّين. وهذا يتَّضح جليًّا في معظم الصَّلوات المقدَّسة للأنافورات المختلفة.

5- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958, p. 75.

6- Egeria, *Diary of A pilgrimage*, Translated and Annotated by George E. Gingras, New York, 1970, p. 218.

٧- الأب يوحنَّا تابت وآخرون، الفرض الإلهي، دراسات قسم اللِّيتورجيَّا في جامعة الرُّوح القُدُس، الكسليك، لبنان، ١٩٨٧م، ص ٢١٠

٨- الأنبا غبريال الخامس، التَّرتيب الطقسي، حقَّقه ونشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات المسيحيَّة الشرقيَّة، سلسلة دراسات شرقيَّة مسيحيَّة، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٧

تعقيب ختامي

هل تحوَّل السِّيناكس الكبير إلى سيناكس صغير في أيامنا هذه وفي غفلة منَّا جميعاً؟ هل الشَّمامسة في السِّيناكس الكبير صاروا يرتِّلون ويسبِّحون بمفردهم، أو يتناوبون التَّسبيح بين جوقتين، والشَّعب أخذ موقف المتفرج على الصَّلاة والتَّسبيح؟ هذا ما يسمونه اليَوم 'القُدَّاس الاحتفالي'!!

إنَّ الانفراديَّة الرَّديئة التي أصابت العصر الحديث، لم تكن موجودة على الإطلاق في الكنيسة الأولى. فقد كان لدى الجميع إحساسٌ مشترك، بأنهم أعضاء في جسد واحد. كلُّهم أعضاءٌ للمسيح، والذي يغيب يخطئ إلى الكنيسة.

ومن جهة أُخرى، تقول الدِّسقوليَّة: ''ليكن الشَّعب قياماً معاً. وينظرون إلى المشارق ويُصلُّون إلى إله السَّماء في المشارق ... يجب عليكم أن تقفوا في الكنيسة بهدوء وعفاف ويقظة، لسماع كلام الله، بانتصاب عظيم. وليتفرَّغ بعض الشَّمامسة لخدمة قُربان الشُّكر ويخدموا الرَّب حينئذ بخوف ورعدة. والبعض الآخر يراعي الشَّعب، ويوصيهم بأن يكونوا في سكوت عظيم''[٩].

ويقول الأُسقُف إغناطيوس بريانتشانينوف: ''الكنيسة هي السَّماء على الأرض، والذين يدخلونها ينبغي أن يقفوا حسناً كسُكَّان السَّماء وبوقار الملائكة؛ عيونهم شاخصة دائماً نحو المذبح، وأرجلهم واقفة باستقامة بغير ملل، أيديهم ممتدة إلى جانبهم بغير حركة، أفواههم لا تُفتح إلاَّ لتسبيح''[١٠].

ويقول أيضاً: ''داخل الكنيسة، حافظ على النِّظام بكلِّ احترام وهدوء، معطياً الكرامة لربِّ البيت، ولا تحاول أن تلتفت إلى أحد، ولا تلفت نظر الآخرين إليك، وذلك احتراماً لله ومنفعة لنفسك، ولعدم الشَّوشرة على الصَّلاة والمصلِّين. لا تخرج وتدخل أثناء الصَّلاة، بل اضبط نفسك حتى نهاية الصَّلاة، ولا تخرج قبل إعطاء التَّسريح بأيِّ حال، لأنَّ في ذلك امتهان لكرامة ربِّ البيت، وتشبُّهاً بيهوذا الذي خرج دون إذن، فدخله الشيطان. فلا يوجد سبب من الأسباب مهما كان مُهماً في نظرك، يستدعي خروجك وتركك الصَّلاة. لا تعوِّد نفسك الاستهتار بالأمور الصَّغيرة، لأنها هي التي تجعلك تستهتر بأمور الكنيسة والله، فتصير مستبيحاً مثل عيسو''[١١].

فلماذا صارت كنائسنا مليئة بالصَّخب والضَّجيج؟ فصوت جلاجل المجمرة التي يمر بها الكاهن على الشعب تعيق الشَّعب عن الانتباه إلى القراءات. والدُّف في الكنيسة القبطيَّة، والذي هو آلة لضبط إيقاع اللَّحن الذي تؤدِّيه الجماعة فحسب، ارتفعت أصوات قرعه، لكي يكون خلفيَّة صوتيَّة لأداء اللَّحن، فانقلب الغرض منه إلى تشويش وضجيج. وأصوات الهواتف المحمولة التي ترنُّ بين الحين والآخر. بل إنَّ لحظات الصَّمت في السِّيناكس الكبير والتي تختص بتمجيد الثَّالوث القدُّوس، قد ضاعت هي الأُخرى من كنائسنا.

إنَّ ضعف روح الصَّلاة في كنائسنا، أردنا تعويضه بتطويل أوقات الصَّلاة. وتطويل وقت العظة. وقلة كلامنا عن المسيح له المجد صاحب البيت أفقد النَّاس إحساسهم بهيبة الكنيسة وبصاحبها. ابحثوا لماذا زادت حالات الإلحاد بين الشباب المسيحي؟ فهل من عودة إلى الأصول؟

٩- الدِّسقوليَّة أو تعاليم الرُّسُل، تعريب القُمُّص مرقس داود، مكتبة المحبَّة، ١٩٧٩م، البَاب العاشر، ص ٩٦

١٠- القُمُّص متى المسكين، حياة الصَّلاة الأرثوذكسيَّة، البَاب الرَّابع، الفَصل الأوَّل، بند ٢٤

١١- نفس المرجع، بند ٢٦

وأمَّا عن التَّصفيق والزَّغاريد والصَّفير في الكنيسة، التي هي بيت الله ومحل سكناه، ومسكن الملائكة وأرواح القدِّيسين، نقرأ: ''... كان تصفيق هائل ودوي وهتاف وزغاريد النِّساء بصورة لا تليق بجلال الله وآداب الكنيسة ... قُلتُ في نفسي: هل يصنع المسلمون مثل ذلك في المساجد لأيِّ سبب من الأسباب؟ هل يصنع الوثنيُّون مثل ذلك في معابدهم؟ لقد رأيتُ الوثنيِّين في بلد الهند وغانا وأوغندا، ورأيت الخشوع في المعابد والسُّجود، والانبطاح على الأرض. لقد كانت الصُّورة بالكاتدرائيَّة غير مشرِّفة للمسيحيَّة ...''.

السِّيرة الذَّاتيَّة للأنبا غريغوريوس، الجزء الثَّالث، إعداد الإكليريكي منير عطيَّة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٣٣٤

ولم يمض على تجليس البابا تاوضروس الثَّاني أسبوعٌ واحد، حتى أصدر المجمع المقدَّس في ٢٢ نوفمبر سنة ٢٠١٢م أمراً بعدم التَّصفيق والزَّغاريد في الكنيسة. فهل تعود هيبة الكنيسة إليها، ويرتاح المسيح في بيته؟